مناهج مدارس دراسة التاريخ العثماني المعاصرة

إعداد الباحث

خالد عبدالكريم أبوشنب

دكتوراة في الآثار والحضارة الإسلامية – جامعة أرجيس

قيصري – ج. التركية

المدخل

إن دراسة التاريخ العثمانى خاصة والإسلامى عامة لهذه الدولة وفق النظريات المعاصرة يعد من الإشكاليات، وذلك لطول الفترة الزمنية لهذا التاريخ، ولاختلاف مواقف وجهات النظر العلمية من هذا العصر بسبب الأسباب الدينية أو السياسية أو الفكرية؛ مما يمثل تأثيراً على حركة التأريخ الإسلامي خلال هذا العصر، وذلك بسبب التداخل بين الأفكار الشخصية أو أفكار الجماعات أو المذاهب المختلفة، مع التجاهل والجهل أحياناً بقصد أو بغير قصد فى تصريف معنى المصدر التاريخي عن معناه الحقيقي؛ مما سوف يؤدي بعد فترة زمنية إلى تكوين تاريخ غير التاريخ الإسلامى عامة؛ والعثماني خاصة، لذا كان اختيار موضوع الدراسة في هذا المقال **"مدارس دراسة التاريخ العثمانى".**

Giriş

Özellikle Osmanlı tarihinin ve bu ülkenin genel olarak İslam tarihinin çağdaş teorilere göre incelenmesi, bu tarihin süresinin uzunluğu ve bu dönemin dini, siyasi veya entelektüel nedenlerle farklı duruşları ve bilimsel görüşleri nedeniyle sorunludur. Kişisel fikirlerin veya farklı grupların veya mezheplerin fikirlerinin örtüşmesi nedeniyle, bazen kasıtlı veya kasıtsız olarak, tarihsel kaynağın anlamını gerçek anlamından uzaklaştırarak, bu dönemde İslam tarihinin hareketini temsil eden bir etkidir. Bu da bir süre sonra genel olarak İslam tarihinden başka bir tarihin oluşmasına yol açacaktır. Osmanlı tarihi özeldir, bu nedenle bu makalede çalışma konusu seçimi *"Osmanlı tarihi tahkik edilmesi okulları "* idi.

عناصر المقال (الكلمات المفتاحية)

(التاريخ العثماني في عصر الخلافة العثمانية؛ كتابات المؤرخين المسلمين والمستشرقين؛ أسباب كراهية الأوروبيين؛ المدارس المعاصرة؛ كلمة إنصاف).

الموضوع

و قد قسم موضوع المقال إلى مبحثين رئيسيتين:

المبحث الأول: مدارس كتابة التاريخ العثماني فى عصر الدولة العثمانية.

المبحث الثانى: المدارس المعاصرة فى كتابة التاريخ العثماني.

المبحث الأول: مدارس كتابة التاريخ العثماني فى عصر الدولة ذاتها

انقسمت مناهج الدراسة فى كتابة التاريخ العثماني في عهد الدولة العثمانية إلى قسمين:

أ- كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين للدولة خاصة فى أوج قوتها، والمؤيدين لحكمها.

ب- كتابات الرحالة، والمؤرخين، والمستشرقين الأوروبيين؛ والمتحاملين على الدولة العثمانية.

المبحث الثاني: مدارس كتابة التاريخ العثمانى الحديثة والمعاصرة

وهى كتابات المؤرخين العرب، والترك، والكرد المتأثرين بالفكر القومى، والصراعات منذ عهد السلطان الخليفة عبد الحميد الثانى وحتى الآن.

أولاً: مدارس كتابة التاريخ العثماني فى عهد الدولة العثمانية

كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين للدولة العثمانية

لقد انقسمت هذه الكتابات فى بداية الأمر إلى الكتابة بأسلوب الحواليات اليومية للدولة؛ على نظام كتابات الحواليات الإسلامية الأولى في القرن الأول الهجري؛ التى تقوم بتقيم أحوال الدولة العثمانية فى اليوم، والأسبوع، والشهر، والسنة منذ نشأت الدولة العثمانية عام 699هـ/1299م.

ومن أشهر المؤلفات فى هذا المضمار كتاب **أبى السرور البكرى "المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية"** فى القرن الـ11هـ/17م، وهو يتحدث عن الدولة العثمانية منذ النشئة حتى أواخر القرن الـ11هـ، و اتسمت كتابته بالجمع بين التدقيق فى الرواية المعاصر لها، وبين النقل من الحواليات العثمانية القديمة التي تجمع أحياناً بعض الآساطير؛ مثل ذكره أن عثمان بن أرطغرل خان مؤسس الدولة العثمانية من نسل الخليفة الراشد عثمان بن عفان 23- 35هـ. [1]

بينما نجد أن البعض الآخر من الحواليات العثمانية التي تعرف باسم **الحواليات المخضرمة** لكون مؤلفها عاصر نهاية عصر وبداية آخر مثل **"ابن إياس"** ت. 928 هـ/ 1522م فى كتابه *" بدائع الزهور ووقائع الدهور"*، والذى نعى فيه الدولة المملوكية الجراكسية ومآثرها 784- 923 هـ /1382-1517 م وعلى الرغم من ذلك تنوع قلمه بين ذكر إيجابيات، وسلبيات الدولة العثمانية زمن الفتنة، وحرب عصابات المماليك المقاومة لها؛ غير أنه لم يخفِ تعاطفه مع المماليك قومه فنجده أحيانًا يذم في الدولة العثمانية التي أنهت ملك قومه الجراكسة في البلاد العربية ويعاصره شمس الدين **محمد بن علي بن الطولوني الصالحي** ت.953هـ/1546م المؤرخ الشامي صاحب "*مفاكهة الخلان في حوادث الزمان*" وهو يعدل ابن إياس عند أهل مصر؛ وكان مؤيدًا للدولة المملوكية الجراكسية؛ غير أن قلمه كان أكثر إنصافاً للدولة العثمانية من ابن إياس الذي يميل أحيانًا إلى إدخال آراؤه الشخصية في الحدث التاريخي. وبالرغم من ذلك يفهم من دراسة ابن إياس لهذه الفترة أنها كانت فترة فتن فى بدايتها. لذا حاول أن يذكر فيها الكلام المحقق الموثوق، وأن يبتعد عن الإشاعات التى شاعات بين المصريين حينها. واستخدم قبل رواية الإشاعة لفظة **"أشيع"** كثيراً ليدل على كثرة الإشاعات خلال هذه الفترة سواء من قبل المماليك أو من جهة العثمانيين أو من جانب المصريين نتيجة الخوف من الحرب؛ وإن دل ذلك فإنه يدل ذلك على دقته فى الرواية التاريخية؛ وهو المتوفى فى عام 928هـ[2] أى بعد الضم العثماني بخمس سنوات؛ على الرغم من كونه يكتب بأسلوب الحرافيش العامي.

أما **الجبرتى** الذى عاصر الفترة قبيل الحملة الفرنسية على مصر حتى أوائل حكم محمد علي باشا، فإنه يميل إلى ذكر ما سمعه، وما عاصره، وما أعترض عليه فى حواليات شبه يومية، لذلك نقد **ابن الخشاب**[3] المتعاون مع الفرنسيين واتهمه بالخيانة **وابن الخشاب مؤلف سيرة الأمير مراد المحمدى الجورجي المملوكى**

---

[1] أبى السرور البكرى، محمد بن أبى السرور البكرى الصديفى، ت. 1071هـ/1661م، **المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية، وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية**، تحقيق ليلى الصباغ، دار البشائر، سوريا، دمشق، 1995م، ص9، 10؛ وذكرت المحققة عن فقرة عثمان ترك من نسل الخليفة الراشد عثمان بن عفان-رضي الله عنه- أن هذه الفقرة وردت فى جميع النسخ، كما وردت فى كتاب **"عيون الأخبار ونزهة الأبصار"**، مخطوط برلين MS9473,WE351, ص237 للمؤلف نفسه؛ إلا أنها ساقطة من كتاب **"نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان"** المنسوب للمؤلف ذاته، والكتاب الأخير لازالت منه نسخه مخطوطة فى معهد المخطوطات العربية المصورة فى القاهرة نسخة مصورة منه تحت الرقم (2131تاريخ) لم تحقق بعد؛ أنظر فهرس التاريخ، الجزء الثانى، القسم الرابع، القاهرة 1390هـ /1970م ، ص453.

[2] ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، ت . 928هـ/1522م، **بدائع الزهور فى وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى زيادة ،5ج، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1984م، ج5، ص168،172؛ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن الطولوني الصالحي الحلبي، ت.953هـ/1546م، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص.3، 4.

[3] عبدالرحمن بن حسن الجبرتي الزيلعي الحنفي، ت.1241هـ/1825م، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق شموئيل موريه وأيمن فؤاد السيد وآخرون، نشر برينتيف، ج1، القدس المحتلة، 2013م، ص.3-5؛ ابن الخشاب، إسماعيل بن سعد الخشاب، ت. 1230هـ/1816م، **خلاصة ما يراد من أخبار الأمير مراد**، تحقيق حمزة عبد العزيز بدر ودانيال كريسيليوس، ط1، العربى للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص7-12.

للفرنسيين؛ لكي يتمكنوا من فهم نقاط الضعف في نفسية الأمير مراد؛ لكي ينفذوا منها إليه؛ لينهوا المقاومة من قبله إليهم في الصعيد المصري، ونقد أفعال الفرنسيين؛ مما ألحقوه بمصر من خراب ودمار؛ ونقد النصارى الأقباط ذوي الأصول اليونانية لتكوينهم الفيلق القبطي الخامس في جيش الإحتلال الفرنسي؛ وذكر ما فعلوه من قتل آلاف المسلمين المصريين؛ وأن قتلهم في مسلمي مصر كان أكثر مما قتل الفرنسيين من المسلمين بمصر؛ ونقد محمد علي باشا القولالي الألباني لإلغائه كثير من أنظمة الدولة العثمانية، واتجاهه للإحتكار، وعدم إيفائه بعهوده لعمر مكرم، وعلماء الأزهر من إلغاء القوانين الفرنسية الوضعية وإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية. ويوجد من بين الحواليات العثمانية ما اتجه إلى اتجاهات الرحالة مثل **أوليا جلبى** فى كتابه **"سياحتنامه الجزء العاشر رحلة مصر والسودان وبلاد الحبش"** تحقيق الدكتور الصفصافي أحمد، والذى يعد من أروع الكتب التى تؤرخ لأحوال العمران، والحياة السياسية والدينية والإجتماعية والإقتصادية والعلمية والجغرافية للبلاد التى زارها المؤلف. وإن كان كتابه لا يخلوا من الأساطير في تاريخ مصر القديم، والإسلامي؛ ونقله من المصادر الإسلامية في حولياته كل ما يعجبه دون تدقيق؛ مما جعل كتابه عن مصر يجمع بين الحق والباطل؛ إلا أنه بالرغم من ذلك كان يوجه النقد للدولة العثمانية في عدم تركها ميزانية مصر كاملة للباشاوات لإتمام عمليات حفر خليج أمير المؤمنين الدولي لتسهيل طريق التجارة بين الشرق والغرب عبر الربط بين البحرين الأحمر والمتوسط، وقد وصف لنا الحياة العلمية بمصر، والطبية خاصة؛ وذلك لعلاجه فى البيمارستان القلاوونى بالقصبة العظمى من قاهرة المماليك، من داء العقم، فلما عاد إلى الأناضول أنجب ولداً؛ فلما بلغ معه السعى أتى به ليزور مصر[4]؛ مما يدل على أن الحياة العلمية صارت فى مصر على أكمل وجه، وينفى هذا ما أشيع من عداوة الدولة العثمانية للعلوم الدنيوية؛ كما أدعى المتحاملين عليها.

كتابات الرحالة والمستشرقين الأوروبيين

تميزت هذه الكتابات بالهجوم اللاذع على الدولة العثمانية، ووصفها بأوصاف لاذعة، وجعلها إرهاب العالم الأوروبي، وإن مدحها البعض؛ من باب وضع السم فى العسل؛ وذلك لكرههم لهذه الدولة التى هزمت آبائهم وأجدادهم، ويقارنها البعض بالإمبراطوريتين الفرنسية، والإنجليزية من حيث المساحة، وطول العمر للدولة.

ومن الملاحظ أن عداء الدولة العثمانية فى المناهج الأوروبية خاصة نجده كلما جنحنا إلى الشرق الأوروبي ناحية اليونان، والصرب، والبولنديين...وغيرهم، وذلك لكون هذه الدولة هى الخصم اللدود الذى حارب أوروبا طيلة ما يقارب 644 عام، حتى استطاع الأوروبيون اسقاطها فى عام 1343هـ/1924م بالتعاون مع الحركة الماسونية؛ خاصة يهود الدونمه[5].

الأسباب الرئيسة لكراهية الأوروبيين للدولة العثمانية

فتح العثمانيين لأوروبا الشرقية؛ حتى أصبحت أغلب أوروبا الشرقية مسلمة طيلة أربعمائة عام؛ في نفس الوقت الذى كان يجهز فيه الأوروبيون على مسلمي الأندلس.

1- محاولة العثمانيين الوصول للأندلس، وتحريرها استجابة للإستصراخات الأندلسية، وإنشائهم أساطيل البحار التى هددت سواحل أوروبا أكثر من مرة بسبب ذلك.

---

[4] محمد أوليا جلبي بن درويش محمد ظلي، ت. 1094هـ/1682م، **الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش- سياحتنامة**، مج 10، ج2، ترجمة وتحقيق الصفصافي أحمد القطوري، نشر وزارة الثقافة المصرية- المركز القومي للترجمة، 2010م، ص.122، 123، 203، 216، 217؛ ربيع حامد خليفة، **فنون القاهرة في العهد العثماني 923-1220هـ / 1517-1805م**، زهراء الشرق، القاهرة، 2004م، ج2، ص27.

[5] الدونمه أو الدونما؛ كلمة تتكون من مقطعين الأول الفارسى **دو** ويعنى العدد 2، والثانى **نما أو نمة**؛ وهي كلمة تركية تعني الوجهين أو العقيدتين؛ وهي كلمة أطلقها الأتراك على اليهود الوافدين إلى الدولة العثمانية هربًا من اضطهاد أسبانيا الصليبية لهم، ولكنهم تظاهروا بالإسلام وأبطنوا اليهودية، وبدأوا فى التخطيط لتدمير الدولة العثمانية بدلًا من شكر صنيعها على إيوائها لهم، ودفاعها عنهم، ومازالوا مستمرين باسماء إسلامية إلى الآن بتركيا، أنظر محمد محمد إبراهيم زغروت، **دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1991م، ص 9-15.

2- دفاع العثمانيين عن بلاد المغرب العربي؛ تونس، والجزائر، والمغرب الأقصى؛ حتى أنهم ساعدوا السعديين فى المغرب الأقصى فى موقعة **وادى المخازن**[6] فى عام 986هـ، والتى أبيد فيها الجيش البرتغالى برياً بالكامل، وقتل فيها ملك البرتغال؛ مما مكن شارل الخامس ملك إسبانيا من ضم البرتغال إلى إسبانيا .

قيام المستشرقين بالتلاعب **بالألفاظ المصدرية** عند دراسة التاريخ العثماني وتأثر بعض المؤرخين، والكتاب العرب بهذه المعاني اللفظية للمصطلحات، ودونوها دون وعي فى أبحاثهم، فنجدهم يستبدلون كلمة **"خلافة "** بلفظة **"إمبراطورية "** لنفى صفة العدل عنها وإلصاقها بصفة الدكتاتورية، تسميتهم للوجود العثماني فى البلدان العربية **بـ"الإحتلال"** دون النظر إلى الفهم النفسي للفكر فى التاريخ الإسلامى[7]، وذلك لأن قاعدة التاريخ الإسلامى ***[لا تسقط دولة إسلامية؛ إلا وتحل أخرى محلها؛ وتقوم بدورها فى إستكمال الوظيفة العقائدية للدولة السابقة] .***

محاولة الأوروبيون تأسيس مدارس تجزيئية للتاريخ العثماني، وتمجيد حركات التمرد على الوحدة الإسلامية العامة، والتى كانت تأخذ الدعم الأوروبي؛ مثل الدعم الروسي لجوزيف الكرجي "الجورجي" أو على بك الكبير بعد إعلان إسلامه كما يقال، أثناء حركته الإنفصالية مع داهر العمر النصيري الباطني قاطع الطريق فى الشام غرة شعبان 1182 هـ / 11 من ديسمبر 1768م - 25 صفر 1187 هـ / 8 مايو 1773 م [8]، وذلك لتخفيف ضغط الجيوش العثمانية على الجيش القيصرى الروسي الصليبي فى أثناء مهاجمة روسيا لبلاد القرم الإسلامى، ومحاولتها الإستيلاء عليها للوصول إلى المياه الدافئة على البحر الأسود[9].

وفى هذا الإتجاه يذكر الدكتور محمد عفيفى– أستاذ التاريخ العثماني– بكلية الآداب جامعة القاهرة، ***(تعرض تاريخ الدولة العثمانية منذ البداية، وحتى النهاية لتداخل الأيديولوجيات المختلفة معه؛ بحيث أصبح فى نهاية الأمر مجموعة تحيزات، ساهمت فيها اتجاهات فكرية متباينة، وتأتى فى أولى هذه الإتجاهات المدارس الإستشراقية، حيث نظرت هذه المدارس منذ البداية إلى التاريخ العثماني نظرة معادية للعديد من الأسباب المرتبطة بعلاقة هذا التاريخ بالتاريخ الأوروبي)*** [10] .

فقد كان فتح القسطنطينية عام 857هـ /1453م[11]، ذو أثر نفسي بعيد المدى فى الغرب الأوروبي، والذي حمل الدولة العثمانية الميراث التاريخي للصراع بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي. وزاد الأمر مرارة فى نفوس الأوروبيين فتح العثمانيين **لأثينا** عاصمة الأسكندر المقدونى ومهد الحضارة الإغريقية، وسائر بلاد اليونان، ثم حصارهم **لـ" فينا "** عاصمة إمبراطورية الهايسبرج الرومانية الغربية المقدسة لدى الأوروبيين[12].

لذا حرصت المدارس الإستشراقية فى معالجتها للتاريخ العثماني على تهميش هذا التاريخ، ورسم صورة ذهنية منفرة له؛ تمثلت في خمسة نقاط رئيسة *" نفي الخلافة عن السلطنة العثمانية، واستخدام ألفاظ منفرة للنفس عند الحديث عنها مثل امبراطورية ؛ الإحتلال؛ الإنحطاط؛ والقسوة؛ والعنف "*، قبل وصول الرجل الأبيض لهذه المنطقة لإلتهام ولايات الدولة العثمانية، واحدة بعد أخرى، لذا حرصوا فى كل بلد مهدوا فيه للإستخراب، والإحتلال على التهيئة الذهنية لهذه المجتمعات على تقبل الإحتلال، والوصايا، وحاربوا لأجل ذلك فكرة كون الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية؛ والدعوة إلى كون العثمانيين محتلين، وذلك ليرسخ فى الأذهان أن

---

[6] **وادى المخازن**؛ اسم وادى يقع فى منطقة الريف الشمالية بالمغرب الأقصى؛ حدثت به المعركة الفاصلة بين المغرب والبرتغال؛ والتي اتحدت فيها الدولة العثمانية مع سلطان المغرب عبد الملك السعدى ضد ملك البرتغال بستيان وحليفه الخائن أبو عبدالله السعدى، وعرفت بمعركة الملوك الثلاثة، لإستشهاد عبد الملك السعدى، وقتل ملك البرتغال، وأبوعبدالله الخائن أثنائها؛ ولقد حشى ملك البرتغال تبنًا بعد سلخه وطيف به في مراكش، أنظر الإفرانى، محمد الصغير الإفرانى، ت . 1130هـ/ 1718م، **نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى**، تحقيق عبد اللطيف الشاذلى، دار أمان، المغرب، الرباط، 1998م، ص139،142.

[7] عبدالله بن حمد الشبانة، **المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية**، دار طيبة، السعودية، الرياض، 2002م، ص60.

[8] أحمد الصاوي، **النقود المتداولة في مصر العثمانية**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001م، ص69.

[9] علي محمد محمد الصلابي، **عوامل نهوض وأسباب سقوط الدولة العثمانية**، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، 2001م، ص380، 381.

[10] محمد عفيفي، **التاريخ العثماني وجهة نظر جديدة**، محاضرة ألقيت بقاعة المؤتمرات العلمية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2010م.

[11] محمود شاكر السوري، **العهد العثماني- موسوعة التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، 2000، ص86.

[12] الصلابي، **الدولة العثمانية**، ص249-253.

الأوروبيون أخذوا البلاد العربية... وغيرها من المحتل العثماني؛ بمعنى آخر أنه تم استبدال إحتلال بآخر[13]. فالتاريخ الحديث لمصر يبدأ عندهم مع وصول الحملة الفرنسية إلى مصر عام 1212هـ/ 1798م، حملة التنوير كما يُدعى، والتاريخ السابق هو فترة مهملة، فالتاريخ الوسيط ينتهى بسقوط دولة المماليك فى عام 923هـ/1517م؛ بينما التاريخ الحديث يبدأ مع الحملة الفرنسية على مصر، ويتم تصوير الفترة السابقة على الحملة الفرنسية على أنها فترة ظلام فكرى وعلمي[14]. وتاريخ الجزائر قبل الإحتلال الفرنسى أى الفترة العثمانية؛ هو تاريخ القرصنة الوحشية ضد أوروبا؛ بينما ترفض المدرسة التأريخية الجزائرية الوطنية الآن هذه المقولة، وترد عليها بأنها **"تاريخ الجهاد البحرى ضد القرصنة الأوروبية"** لتأكيد دور رؤساء البحر المسلمين فى مواجهة عربدة الأساطيل الأوروبية منذ القرن الـ 10هـ/ 16م فى المياه الإسلامية ببلاد المغرب العربى[15].

ومحاولة الدولة العثمانية إنقاذ ما تبقى من مسلمى الأندلس؛ بعد قرار التنصير الجبرى فى عام 1602م/1011هـ؛ والذي ألحق بقراري الإبادة، والطرد ناحية الدول الأوربية، والعالم الجديد على يد محاكم التفتيش 1609م/1018هـ؛ لكى يهلك مسلمي الأندلس؛ مما أدى إلى تدخل الدولة العثمانية للدفاع عن الثغور الإسلامية فى المغرب؛ وانقاذ أكثر من 70 ألف مسلم من مسلمى الأندلس ونقلهم إلى الجزائر.[16]

القنصليات الأجنبية والإستيلاء على المخطوطات الإسلامية لإحتواء العقل العثماني ومحو العمران والعمارة الإسلامية

لذا توجهت دراسات القنصليات الأجنبية إلى جمع كل ما يمكن الوصول إليه من تاريخ الحضارة الإسلامية، من مخطوطات، وغيرها وتصدت لهذا الدور النمسا حتى أصبحت مكتبة **"فينا الأهلية"** الآن تحوى مليوني مخطوط إسلامي فى مختلف العلوم الدينية، والدنيوية؛ وهى تعد الآن أكبر مكتبة مخطوطات إسلامية فى العالم، والمراكز البحثية الآثرية التى أنتشرت تدرس الآثار الإسلامية؛ وأهمها المدرسة الفرنسية فى مجال الآثار الإسلامية، وذلك لفهم طبيعة العقلية الإسلامية عامة؛ وبخاصة خلال العصر العثماني؛ وذلك لعدة أسباب:

1- جعل العمران الإسلامي تراث انتهى، وأنه لا يصلح للعودة للحياة مرة أخرى[17]؛ وذلك لكون العمران مادة مؤثرة فى النفس والجوهر؛ كما أنه مادة عمرانية تحصينية للمدن ضد أى محتل؛ لكون المدينة الإسلامية تبنى على ثلاث طبقات (الساباط العلوي، والعمران على ظاهر الأرض، والعمران فى باطن الأرض)؛ مما يصعب اختراقها.
2- كون العمران الإسلامى صياغة تطبيقية لواقع الشريعة الإسلامية فى حياة المسلم؛ وذلك لكون العمران موجه للنفس البشرية للحفاظ على العورات، والأعراض؛ فظهرت المشربيات والساباطات الخشبية بين أسطح المبانى للنساء، و الباشورة (المدخل المنكسر)؛ او ما يعرف بفقه الأخلاق السلوكي العمراني المعماري.
3- القضاء على فكرة صلاحية التجديد فى العمران والفنون الإسلامية؛ فمثلاً يوجد فى الفنون والعمارة الإسلامية صبغة عامة، فكلما انتقل الفرد من بلد إلى آخر شعر بأن هذا أثر إسلامى؛ بينما عند النظرة الفاحصة يلاحظ أن لهذا الأثر صبغة خاصة به نابعة من بيئته التى وجد بها؛ ولكن مع التوجيه الإسلامي للمعمار، والفن بصياغة حضارية. هذا لكون الإسلام موجه للفنون، والعمارة؛ وليست الفنون،

[13] مصطفى صبري، **الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية**، تحقيق مصطفى حلمي، ط2، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الأسكندرية، 2002م، ص66، 67.

[14] محمود شاكر المصري، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2006م، ص115-139.

[15] الصلابي، **الدولة العثمانية**، ص254.

[16] محمد بن حسن بن عقيل موسى، **استجابات إسلامية لصراخات أندلسية**، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، 1415هـ، ص.45-48.

[17] من المعلوم في الوقت الحاضر أن الدولة الإسلامية الوحيدة التي مازالت مستمرة في تخطيطاتها الهندسية على العمارة الإسلامية بأسلوب معاصر جمع بين القديم والحديث هي ماليزيا، وهذا يعد دليلاً على قدرة العمارة الإسلامية أن تواكب الحياة المعاصرة إذا توافرت لها الأسباب البيئية المهيئة؛ خاصة وأن مخطوطات الفقه العمراني مازالت حبيسة دور الكتب، والمتاحف للآن؛ هذا الأمر يحتاج إلى الجمع بين الآثاري، والمهندس من أجل الجمع، والتطوير، والإبتكار؛ وما نموذج ماليزيا والعمائر الإسلامية بها منا ببعيد؛ وهذا يدل على إختلاف العمارة الإسلامية عن عمائر الأمم الغابرة؛ لأن من يحيي هذه العمائر يحافظ على الشكل لا الجمع بين الشكل والوظيفة كالعمران والمعمار الإسلامي؛ الباحث.

والعمارة موضحة للدين كالفنون الدينية السابقة على الحضارة الإسلامية؛ كالفنون البيزنطية، والساسانية، و الفرعونية، والعراقية القديمة قبل الإسلام، والفنون الأوروبية الحديثة بعد الإسلام.
ومن هنا فإن الفرد إذا ذهب إلى أى مسجد إسلامي فى أوروبا أو أمريكا يجده المرأ يشبه مساجد الشرق؛ ولكن لم ينبع هذا التصميم من المزج بين الحضارة الأوروبية الغربية المعاصرة مع الحضارة الإسلامية؛ فتكون نموذج جديد يعبر عن دمج هذه الحضارات فى الحضارة الإسلامية؛ بحكم التوجيه فتنبع من ميراث الشعوب الأوروبية مع مراعاة قواعد الفن والمعمار الإسلامي، لذا وجدت هذه الهوة الحضارية فى الفكر بين الشرق والغرب منذ عام 1343هـ/1924م وحتى الآن، وما مشكلة مآذن سويسرا فى عام 2009م منا ببعيد.

ومما سبق يظهر لنا خطورة دراسة التاريخ العثماني فى ضوء المدارس الإستشراقية، وذلك لأنها غيرت مفهوم الدولة العثمانية؛ فعندما نقول الدولة العثمانية؛ لا نقصد تركيا فقط؛ بل نقصد العالم العربى مع تركيا، والقوقاز، والبلقان، والقرم، وجزر البحر المتوسط؛ لكون المجتمع، والمؤثرات، والدولة واحدة ؛خاصة فى ظل ربقة الدين الواحد، والجغرافية الواحدة.

المبحث الثاني: مدارس التاريخ العثماني الحديثة والمعاصرة

لاحظت الدول الأوروبية أن التدمير المباشر للدولة العثمانية لا يجدي لأنها متحدة الكيان؛ فصارت فى ثلاثة خطوات رئيسية:

1- تفجير الداخل العثماني؛ عبر الأقليات، والنعرات القومية.
2- إعادة صياغة مناهج التعليم على أسس بعيدة عن فكر الدولة العثمانية الإسلامي القائم على عقيدة الوحدة الإسلامية الولاء والبراء؛ لكي يناحر المجتمع العثماني بعضه بعضاً؛ خاصة فى ظل عصر السلطان عبد الحميد الثاني.
3- الحروب المتتالية من قبل الدول الأوروبية على الدولة العثمانية؛ بأسلوب الأدوار، والتوزيع بينهم؛ كي لا تستطيع الدولة العثمانية أن تتقدم فى مضمار الحضارة الإسلامية خاصة، والإنسانية عامة .

لذا قام المستشرقون فى هذا المضمار بدراسة المحاولات الانفصالية عن جسم الخلافة العثمانية فى مصر والشام زمن على بك الكبير النصراني الأرثوزكسي الجورجي الأصل، وداهر العمر النصيري بالشام. وفى لبنان زمني بشير المعينى الدرزى الأول والثانى، ثم فى تحالفات الأقليات المذهبية المختلفة المشتركة مع الدول الأوروبية برابط الإعتقاد والمصالح[18]، على أنها حركات تحررية قومية ضد التركي المحتل. لذا اتجهت الدول الأوروبية فى هذه المرحلة إلى تشجيع التربية الشعوبية، والانفصالية، لأجيال الولايات العثمانية التى احتلت من قبل القوى الغربية. فبدأ ذلك فى مصر منذ عهد محمد على باشا 1805-1848 م عبر البعثات للدول الأوروبية النصرانية فعاد رفاعة الطهطاوى ينادى بالدستور بدل الشريعة، وبالوطنية بدل الوحدة الإسلامية (عقيدة الولاء والبراء) فى كتابه تلخيص **" الإبريز فى زيارة باريز"**، ثم بدأت الفكرة تظهر فى الشام على يد النصارى العرب أمثال جورجى زيدان وأدبياته، وبطرس البستانى بلبنان، وعبد الرحمن الكواكبى حفيد إسماعيل الصفوى الإيراني الشيعي، والذى استخدم لأول مرة فى تاريخ المصادر العربية الإسلامية كلمة **"استبداد"** بمعنى **"دكتاتور"** على الرغم من كون هذه الكلمة تعنى فى المصادر العربية **"المسيطر الحازم؛ القائم بتنظيم أمور البلاد"** ، وليس الحكم المطلق فى السلطة دون الرجوع لأهل الحل والعقد، وألف فى ذلك كتابه الشهير **"طبائع الاستبداد"**، ثم تعجب لأنه لم يقيم فى الشام تحت ضغط السلطان الخليفة عبدالحميد الثانى؛ وذلك لكون السلطان كان ينادى

---

[18] نشرت جريدة الأهرام المصرية على لسان الأديب الصحفي أحمد بهجت في مقاله الخاص صندوق الدنيا ثاني يوم من إلقاء شارون خطاب تسلمه رئاسة الوزراء في إسرائيل بالكنيست في فبراير 2001م ، ترجمة لجزء من هذا الخطاب جاء فيها "إن مهمتنا في المرحلة القادمة تحقيق تولي الأقليات الدينية المذهبية للبلدان العربية، وإزاحة الحكام العرب لأنهم سنة؛ حتى وإن كانوا عالمانيين. فإن الشيعة ستتكفل بالسنة؛ ونحن سنتكفل بالشيعة" وهذا ما حدث ويحدث الان لقد افرغ الشيعة مع الأوروبيون سوريا مما يقارب من 14 مليون مسلم سني وهيأوا سوريا للغزو الصهيوني ولو تدخل تركيا لتمدد الكيان؛ لذا استعان الكيان بخليفة البيزنطيين وعدو المسلمين الأتراك الدب الروسي؛ وعلى الطرف الآخر في لبنان والعراق تكفل الشيعة بالسنة وفي مصر يدعمون الأحزاب الشيوعية تدعيم مطلق وفي اليمن خربوها مع بعض الانظمة العربية الحاكمة في الخليج، الباحث.

بالجامعة الإسلامية لتوحيد كلمة الأمة فى وجه الأطماع الأوروبية تحت راية الدولة العثمانية [19] ، فبدلاً من الإصلاح مع السلطان؛ نادى الكواكبى بالخلافة لغير العثمانيين، وبالقومية العربية فى وقت زحف الإحتلال الغربى على المشرق الإسلامي؛ وبذلك تخفف الضغط عن المنادين بالقومية العربية من الطوائف غير الإسلامية.

وزاد فى نمو حركة القومية العربية وساعدها على الظهور؛ حركة التتريك التى ظهرت فى الدولة العثمانية بعد خلع السلطان عبدالحميد الثانى على يد الاتحاد والترقى المخترقين والمسيرين من قبل يهود الدونمه منذ عام 1909م ضد العرب. وفى خلال هذه الفترة ظهرت فكرة فصل الدين عن الدولة؛ والتى ظهرت على البارات **"السكة"** العثمانية فى آخر هذا العصر، وكتبت عليها شعارات الثورة الفرنسية **(حريت، مساوات، عدالت)**؛ فكان من آثار ذلك الثورة العربية للمناداة بالشريف "حسين بن علي" خليفة للمسلمين بدلاً من السلطان العثماني مقابل وعد شفوي من الإنجليز وبتخطيط من الجاسوس الإنجليزي **لورانس** الملقب لدى الأوروبيين **"بملك العرب الغير متوج"**. فالناظر إلى الغلبة الغالبة من مؤرخي العرب خلال هذه الفترة يجدهم يتحاملون على الدولة العثمانية التي لم يكن لها من الأمر شئ فى ظل قيادة يهود الدونمة لها؛ بينما نجد أتباع يهود الدونمه من المؤرخين اللادينين يصفون الدولة العثمانية بالتخلف، والرجعية. أضف إلى هؤلاء كل المتأثرين بالفكر القومي الغربي، والتبعية الفكرية للمدنية المادية الأوروبية؛ لذلك نجدهم فى كتابتهم يسندون كل ما هو ماضي مضئ فى تاريخ بلدانهم إلى حقبة الإحتلال الغربي؛ وكل ما هو مسئ إلى فترة الخلافة العثمانية فنجدهم مثلاً يقولون **"الحملة الفرنسية على مصر؛ والإحتلال العثمانى"[20] .**

ثم ظهرت **مدرسة التأريخ الماركسية** ذات الصراع الطبقى والتى نادت بتفسير التاريخ الإسلامى على أساس مادى وفق نظرية الصراع والبقاء للأقوى [21]. وذلك رداً على مدرسة **التأريخ الأوروبية الرأسمالية البرجوازية الطبقية** فى تفسير التاريخ الإسلامي. فاستخدموا مصطلحات لها مدلولات، ومعاني مختلفة فى المصادر، والعصور الإسلامية، على أنها ذات معنى واحد، مثل كلمة **"إقطاع"** كمرادف للكلمة الإنجليزية **"Feudalism"** وهذه الكلمة لها معنى مختلف فى المصادر، والحضارة الإسلامية عن الأوروبية فهي تعني تحديد الأرض للبناء عليها، وتعني فى العصر الأيوبي567-647هـ، والمملوكى البحرى 648 – 784هـ أن كل أمير مسئول أمام الدولة عن إصلاح محافظة ما؛ فى انتاج معين؛ يعين الناس، والجيش؛ وقت السلم، والحرب. وتعني فى العصر العثمانى المتأخر الملكيات الزراعية الكبرى؛ وما يترتب عليها من فكرة العزب، والوصايا؛ والتى كان من نتيجة إلغائها أن تحولت مصر من دولة مصدرة للقطن، والقمح إلى دولة مستوردة لهما مثلاً؛ بينما الإقطاع الأوروبي يعني أن الأمير الأوروبي يملك الأرض، ومن عليها من الناس، ولا يعطي لهم غير الكفاف فهم عبيدًا له. ثم يضاف إلى كل ما سبق بعض المؤرخين السلفيين أو المتأثرين بالمدرسة السلفية فى التاريخ الذين يهاجمون الدولة العثمانية لحربها للدعوة السلفية نيابة عن إنجلترا، وفرنسا بيد محمد علي باشا؛ وبالتعاون مع الخبراء الفرنسيين العسكريين، إضافة إلى سيطرة البدع، والخرافات على الكثير من القوى الإسلامية فى الدولة العثمانية أواخر عهدها؛ مما دفع الكثيرين لمهاجمتها.[22]

الخاتمة

ومما سبق يتبين لنا أن الاختيار المنهجى الأمثل لدراسة التاريخ العثمانى؛ هو دراسته وفق المدرسة الموضوعية للتاريخ. مثبتين إيجابيات الدولة العثمانية؛ وسلبياتها دون التحيز إلا للحقيقة التاريخية العلمية فقط؛ وفق معطيات البحث التاريخى المعتمد، وتفسير العصر حسب فترته الزمنية؛ دون المقارنة بالفترة المعاصرة إلا فى ضوء الاستفادة، والتجربة؛ وذلك لكون التاريخ حلقة وصل بين الأجداد، والآباء، والأبناء، والأحفاد.

---

[19] محمد زغروت، **دور يهود الدونمة**، ص68.

[20] مازال كتاب المرحلة الثانوية في التعليم الأساسي بمصر يدرس هذه العبارة إلى الآن بمصر، لذا يرجى من أهل التخصص والعلم المناداة بإعادة تصحيح المعلومات التاريخية في الكتاب لأن أغلبها مغلوط؛ الباحث.

[21] الصلابى، **الدولة العثمانية** ، ص 18،19.

[22] الصلابى، **الدولة العثمانية** ، ص19 ؛ محمود شاكر السوري، **العهد العثماني**، ص160،161.

المصادر والمراجع

المصادر العربية المخطوطة

- أبى السرور البكرى، محمد بن أبى السرور البكرى الصديفى، ت. 1071هـ/1661م، **"عيون الأخبار ونزهة الأبصار"**، مخطوط برلين MS9473,WE351.

- أبى السرور البكرى، محمد بن أبى السرور البكرى الصديفى، ت. 1071هـ/1661م، **"نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان"** نسخه مخطوطة فى معهد المخطوطات العربية المصورة فى القاهرة نسخة مصورة منه تحت الرقم (2131تاريخ).

المصادر العربية المطبوعة

- ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، ت . 928هـ/1522م، **بدائع الزهور فى وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى زيادة ،5ج، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1984م، 6 مج.
- ابن الخشاب، إسماعيل بن سعد الخشاب، ت. 1230هـ/1816م، **خلاصة ما يراد من أخبار الأمير مراد**، تحقيق حمزة عبد العزيز بدر ودانيال كريسيليوس، ط1، العربى للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.
- أبى السرور البكرى، محمد بن أبى السرور البكرى الصديفى، ت. 1071هـ/1661م، **المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية، وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية**، تحقيق ليلى الصباغ، دار البشائر، سوريا، دمشق، 1995م.

- شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن الطولوني الصالحي الحلبي، ت.953هـ/1546م، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

- عبدالرحمن بن حسن الجبرتي الزيلعي الحنفي، ت.1241هـ/1825م، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق شموئيل موريه وأيمن فؤاد السيد وآخرون، نشر برينتيف، ج1، القدس المحتلة، 2013م، 6 ج.

- محمد أوليا جلبي بن درويش محمد ظلي، ت. 1094هـ/1682م، **الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش- سياحتنامة**، ترجمة وتحقيق الصفصافي أحمد القطوري، نشر وزارة الثقافة المصرية- المركز القومي للترجمة، 2010م، مج 10، 3 ج.

- محمد الصغير الإفرانى، ت . 1130هـ/ 1718م، **نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى**، تحقيق عبد اللطيف الشاذلى، دار أمان، المغرب، الرباط، 1998م، ص139،142.

- مصطفى صبري، **الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية**، تحقيق مصطفى حلمي، ط2، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الأسكندرية، 2002م.

المراجع العربية

- أحمد الصاوي، **النقود المتداولة في مصر العثمانية**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001م.
- ربيع حامد خليفة، **الفنون الإسلامية في العصر العثماني 923-1220هـ / 1517-1805م**، زهراء الشرق، القاهرة، 2004م، 2 ج.
- عبدالله بن حمد الشبانة، **المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية**، دار طيبة، السعودية، الرياض، 2002م.
- علي محمد محمد الصلابي، **عوامل نهوض وأسباب سقوط الدولة العثمانية**، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، 2001م.
- محمد بن حسن بن عقيل موسى، **استجابات إسلامية لصراخات أندلسية**، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، 1415هـ.
- محمد محمد إبراهيم زغروت، **دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1991م، ص 9-15.
- محمود شاكر السوري، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، 2000، 36 مج.
- محمود شاكر المصري، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2006م.

المحاضرات العلمية

- محمد عفيفي، **التاريخ العثماني وجهة نظر جديدة**، محاضرة ألقيت بقاعة المؤتمرات العلمية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2010م؛ الساعة 11 صباحًا.